المجلد العاشر/ العدد الثاني / 01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الحوار والاعتراف من خلال تفكير مزدوجة: الغير / الأنا
الحضارة الغربية المعاصرة نموذجا

د. رايس زواوي- أستاذ محاضر "أ"،
جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس.

تاريخ الارسال: 01 ماي 2018	تاريخ القبول: 13 أكتوبر 2018	تاريخ النشر: 01 ديسمبر 2018

ملخص:

... وإذا تحقّق هذا الشرط السبقي، من اعترافٍ وتجاوز الحساسيات بعقدة التفوُّق، عندئذٍ يبقى الجلوس للحوار مُمكناً، ولكي يُصبح الحوار ممكناً والتواصل مُعاشاً، لابد من معرفة عميقة وفهمٌ دقيق للآخر، وهذا يجعل ذات الآخر ذاتي أنا.

يتحدّد الحوار دائماً على مدى الاعتراف المتبادل بين أصحاب الديانات على مبادئ وأسسٍ جادة بالحوار تؤسس للتعايش والسماحة بين الشعوب والأقليات الدينية وتجاوز الترسبات التاريخية العقيمة لأنها لا تخدم الإنسان، وإذا تحقق هذا الشرط السبقي، من اعتراف وتجاوز الحساسيات بعقدة التفوُّق، عندئذٍ يبقى الجلوس للحوار مُمكناً، ولكي يُصبح الحوار ممكناً والتواصل مُعاشاً، لابد من معرفة عميقة وفهمٌ دقيق للآخر، وهذا يجعل ذات الآخر ذاتي أنا.

الكلمات المفتاحية: التواصل والحوار ؛ الأنا والأخر ؛ الاندماج ؛ الأنتلجنسيا والحداثة.

Abstract.

...and if this premature condition of recognition and overcome sensitivities and not superiority, then remain sitting for a possible dialogue, In order to make the dialogue possible and communicate pension. It has to be a deep knowledge and a thorough understanding of the other, and this makes the other face of this side.

Determined dialogue always over mutual recognition between religions on the principles and foundations of a serious dialogue established for coexistence and tolerance among peoples and religious minorities and exceeded sediment historical sterile because they do not serve the human, and if this premature condition of recognition and overcome sensitivities and not superiority, then remain sitting for a possible dialogue , In order to make the dialogue possible and communicate pension. It has to be a deep knowledge and a thorough understanding of the other, and this makes the other face of this side.

Keywords: The communicate and dialogue; the other face of this side; integration; intellectual and modernity.

المجلد العاشر/ العدد الثاني / 01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة:

نستهل مقدمة البحث بتصور إشكالية للحوار، الاعتراف من خلال تفكير مزدوجة الغير- الأنا للوقوف على معنى تشكيل البعيد- القريب الذي يشكّلُ طرفه الأول وهو البعيد بفرض إيديولوجيا فيها عقدة التفوُّق من منطلق إنتاج الأنتلجنسيا للأنساق ولتكنولوجيا إنتاج إنسان الحداثة، وطرفه الثاني وهو القريب الذي فيه اعتراف بفلسفة الغير- الأنا . ومن هذا الاستشكال الذي نزمع بناءه يتشكّلُ معنى:

أن يُصبح الحوار ممكناً والتواصل مُعاشاً، لابد من معرفة عميقة وفهمٌ دقيق للآخر، وهذا يجعل ذات الآخر ذاتي أنا، ليس باستيعابه، بل بالدخول معه في علاقة، وهنا تكمن أهمية الموضوع في معالجة موضوع الغيرية من زاوية تأسيس للحوار وللعيش المشترك، كما سنسعى في هذا الطرح إلى تبني معنى الأمل في مقابل المصلحة التي تغلب على الساسة والمجتمعات في قبول لفلسفة خاصة نابعة من الثقافة الجديدة، حيث معنى القبول بالآخر، هو إيثاره كجليس، فإذا كان هذا هو منطلقنا في الحوار، عندئذٍ نبني لحضارة التعايش صرحاً إنسانياً وأخوياً.

وعلى نحوٍ متوافق، ربما سنعرف انفتاحا في تفكير الأنتلجنسيا الأوروبية من فكرها في مركزية الوعي الإنسانوي، وبقدر ما تظلّ الإيديولوجيا تحتقر هؤلاء، فإنّه لامناص من أنّ مفهوم الكلية اتجاه شمولية الحوار يحملُ دلالات لاتجاه الاعتراف بالغير، المخالف في قمة الهرم السياسي والثقافي، بانّ المركزية العالمية تكون للأفضل وأحيانا للأقوى. وأمام شغور الأمكنة فإنّه بات يفرض خطاباً فلسفياً مرناً، بحيث كون الإشكالية كما يلي:

هل بإمكان الحوار أن يؤسِّس لعملية التفاعل بين الثقافتين، وهل بات الاهتمام بفلسفة الغيرية كفيلٌ بالقضاء على التشنجات العنصرية النابعة من الترسبات الثقافية والفكرية ؟ وهل بالإمكان خلق ثقافة جديدة تستطيع تغيير أبجديات الحوار نحو الإيجاب ؟

1- الغيرية في سياقها التاريخي.

لا شك أ نّ الرجوع إلى فلسفة الغيرية، هو رجوعاً لإلى دراسة الجسد بتفكير أدوات عمل هذه الآلة التي باتت تهمّش العقل والتفكير أو بالأحرى إعادة استملاك فقرةٌ من تاريخ فينومنولوجيا الجسد في قراءة لثنائية الأخر/ الغير، وأحيانا الغير في مقابل الأنا، حيث الغيرية هي من الفعل اللاتيني(Alter) التي تحيلنا إلى تفكير معنى الأخر أو حتى الغير، هذا الأخر :" **الذي تجسّد في البنية الذهنية ومخيال**

المجلد العاشر/ العدد الثاني / 01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الإنسان الغربي كطرف في معادلة الصراع من أجل الاعتراف "[1]، وورد في نفس المعنى مع بول فولكي (Paul Foulquié) بأنّ الأخر (L'autre) أو في استعمالات كثيرة الغيرية (Altruisme) هو أحد المفاهيم الأساسية في الفلسفة المعاصرة وهو يحملُ دلالات كلها مختلفة كا: المختلف لقول ابن سينا،" **فإنّ الأشياء المختلفة الأنفس تصير بها مختلفة الأنواع، ويكون تغايرها بالنوع لا بالشخص**"[2] المتميّز، المتنوّع، المنفصل[3]، كما أن مصطلح الغيرية عند المحدثين هي الإيثار، وهي مقابلة للأنانية (Egoisme).

على خطى نيتشه (Nietzsche) يصبح تفكير ثنائية الغير/ الأنا هو موضوع المعرفة المنتجة كالجنون، المرض، الانحراف.. تهميشٌ وإقصاء لموضوع المعرفة، فيصير الأخر له تاريخ[4] يبدأ من اللحظة التي يتم فيها استرجاع تشكلات الإقصاء والتهميش من الثقافة الغربية.

ومن عناصر البحث:

1- السياق التاريخي.
2- القريب والبعيد.
3- الزمني والروحي.
4- إيديولوجيا الفلسفة المركزية.
5- الغيرية وإيتيقا الاعتراف.

إنّ حالة الرفض التي نعيشها في المسكوت هي دليلٌ على وجود الغير وعلى ثقافته في الوجود، وهي دليلٌ على انطولوجيا متميزّة إذا نظرنا إليها على أنّها المختلف، المغاير، فإذا كان هذا الرفض غير مصرّحٌ به في حالات كثيرة، فهو رفضٌ بالاعتراف بانطولوجيا الغير.

إنّ الغير في مقابل أنطولوجيته الثقافية والوجودية، هي بمثابة اعترافٌ بأحقيته في فرض حوارٌ متبادل، إذا أعطى الرافض للمرفوض فرصةً للمرفوض بالحوار، وهذا ليس مزيةٌ تُعطى- للمنبوذ- أو المرفوض أو الغير/ غير المتميّز وفي حالات هو متميّز لأنّه يشكل عقدةً بالنسبة لرافض الغير، وإنّما أحقيته في انطولوجيا راهينية/ أو انطولوجيا طبيعية، وهذا لابدّ أن يتأسّس على حوارٍ متبادل تؤسِّسُه مبادئ للتفاعل (L'interaction) ولإقرار بثقافة الغير وإبداعاته.

---

[1]- مجاهد، عبد الناصر، **مفهوم الغيرية عند هوسرل**، مجلة تطوير، جامعة طاهر مولاي- سعيدة، المجلد4، العدد4، ماي 2017، ص 169- 185.

[2]- صليبا، جمال، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبنانب- بيروت، الجزء الثاني، 1982، ص 131.

[3]- Foulquié, Paul, Raymond Saint-Jean, Dictionnaire de la langue philosophique, PUF,Paris, 1962, pp. 62- 63.

[4]-Francisco Ortiga, ABECEDAIRE de Michel Foucault, Sous la direction de : Leclercq, Stéfan, édition Sils Maria, Paris, Mai 2005, p.16.

المجلد العاشر/ العدد الثاني / 01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- ***ثنائية الرفض والتهكم من داخل أنطولوجية الثقافة الغربية.***

ما دام الرفض، هو عدم الإقرار بالغير وإن كان تعبيرٌ غير مُصرّح به لوجوده في المسكوت (L'impensée) فهو أخطر من التصريح واقعيا، لأنّ المصارحة هي الإقرار بالتغيُّر، فحينما أحاور الغير فإنّ أناي هي غيري الذي يندمج مع ذاتي التي تُحاوره وفي نفس الوقت تستمع إليه بالحوار بوجوده واعترافا بثقافته الأنطولوجية، ليس بإستوعابه ولا بإستملاكه من خلال فرض أناي بتجاهله، إنّما بالدخول معه في علاقة، حيث معنى القبول بالآخر، هو إيثاره كجليس، فإذا كان هذا هو منطلقنا في الحوار، عندئذٍ نبني لحضارة التعايش صرحاً إنسانياً وانطولوجيا في الحق الثقافي والإبداعي.

إنّ أوروبا كلما أبدت نيّةً في الحوار بتهذيب أدواتها الثقافية، كلما أظهرت إيديولوجيا فيها عقدة التفوّق الحضاري، ورأت نفسها مركزاً للعالم، وإذا تحقّق أساس الحوار، بالإمكان أن يُعلن عن بداية جادة ومثمرة للفلسفة الغيرية المبنية على فكرة العالمية- الإنسانية، وأنّ القبول بالانتماء إلى أسرة إنسانية موحّدة، يشكِّل الاعتراف القانوني والإيطيقي لمعنى الغيرية برفض مقولة إدعاء احتكار الحقّ، وهو ما يطرح مزدوجة القريب/ البعيد.

2- **القريب/ البعيد:**

فعلى نحوٍ متعارض، يُشكل القريب/ البعيد ثنائية لفهم عقلية الأنتلجنسيا من خلال تفكيك معنى البعيد (الغير) في قصديةٍ لتهميش البعيد والنظر إليه على أنّه غير المختلف وغير المنتج، في سابقةٍ لرفض معنى الحوار والتفاعل، أما القريب فهو الأنا المركزية الغربية التي تنظر إلى نفسها نظرة متعالية إزاء الغير، وفي ظل هذا التعارض يصبح الحوار مستحيلا.

ربّما سنعرف انفتاحا في تفكير الأنتلجنسيا الأوروبية من فكره في مركزية الوعي الإنسانوي، وبقدر ما تضل الإيديولوجيا تحتقر هؤلاء، فإنّه لا مناص من أنّ مفهوم الكليّة اتجاه شمولية الحوار يحمل دلالات لاتجاه الاعتراف بالغير، المخالف في قمة الهرم السياسي والثقافي بأنّ المركزية العالمية تكون للأفضل وأحياناً للأقوى، وأمام شغور الأمكنة فإنّه بات يفرض خطاباً فلسفياً مرناً.

إنّ رفض الغير، هو تكريسٌ للفردية وتعبيرٌ عن اللاإستمرارية بين الغير/ الأنا، وهذا الاحتباس في خلق قنوات للحوار، تزكيه إيديولوجيا متمركزة على الذات الأوروبية، فإذا كان الاحتباس الإيديولوجي ينطلق من رفض الحقيقة والنظر على أنّها ذاتية محضة، فإنّ الحوار سوف يصبح مكبلاً بأحكامٍ تشنجية سابقة، ربما أخذت منابع وجودها من العقلية التاريخية المستعمِر/ المستعمَّر أو حتى معنى الأصل أو الدم الذي لازال يُحدِّدُ كيف يفكر الفكر الغربي. وأنّ الحالة المرضية التي تسيطر على تفكير الإنسان الغربي، هي ضربٌ من الانطولوجيا الثقافية للمجتمع ولإبداعه الثقافي لإنسان غربي متجذِّرٌ في ماضيه لا يؤمن بالحوار إطلاقاً، وهو تبريرٌ على عدم الرضى والشجب الكلي لواقع الحوار من أساسه.

نعتقد أنّ ردّ الاعتبار للغيرية، يتغيّر بموجب تحديد الآليات لفعل الحوار وتفاعل الغير/ الأنا ورفض لحقيقة البعد الواحد للفكر الغربي، ومثل هذا الرفض، هو رفضٌ لبعض الثقافات ولخصائص

المجلد العاشر/ العدد الثاني / 01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المجتمعات من خلال اللاإندماج العنصر اللاأوروبي داخل المجتمع الغربي، وهذا ما يبرّرُ عمليات التطرف والإرهاب كنتاج عن التهميش والتعسّف وتقسيم المجتمع إلى طبقة أفقية وأخرى أقل منها، حيث تفكير مزدوجة الغير/ الأنا يكون بالاعتراف، وهذا الاستشكال الذي نزمع بناءه يتشكّل معنى:

- إنتاج الأنساق الأنتلجنسيا الغربية.
- تكنولوجيا إنتاج إنسان الحداثة.

يأخذ مفهوم الحوار بعدٌ سياسي- إيديولوجي ثقافي حضاري، فهو كمفهوم لم يرد في القانون الدولي لميثاق الأمم المتحدة، « **ولا في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان** »[5]، حيث يستمد معناه من إيديولوجية ثقافية حضارية، لهذا يعتبر المعيش اليومي مليء بالترسبات التاريخية التي تجدرت أثناء ازدياد عدم فهم التاريخ لكل مجتمع، مما خلق تأزماً في العلاقات، بدأت تكبر مع كبر المشكلة التي بدأت عرقية- ثقافية تواصلت إلى حدِّ أن باتت أزمة فكرية- ثقافية وحضارية- عرقية على أساس العرق أو الأصل (La Race) في معنى أن يكون الدم هو عنصر ازدياد الحقد وتباعد تحقيق الحوار والتفاعل والتعايش والتسامح..

إنّ الحوار، منهجٌ دائم وطويل، لأنّه يستغرق مسح الكراهية ونبذ التعصب بالدعوة إلى الاعتراف بالغير على أسس من التصريح بالأخر، وأحياناً بالغير وهو قبولٌ بالانتماء إلى أسرة إنسانية موحدّة من خلال ثنائية القريب/ البعيد، فأما البعيد فهو انتهاج للتطاحن وهو سلوكٌ غير حضاري وغير إنساني، وهو نفسه القريب لأنّه مدعاةٌ أن يكون للإنتاج الثقافي- الحضاري فيتغيّر- الغير- من كونه هو الأقل إنتاجاً إلى –الأنا- الذي يصير منتجاً ومقارعاً بحواره وفلسفته المغايرة والمنتجة،/وهذا معنى أن يكون لك نهجاً فلسفياً- حضارياً.

إنّ العمل بفكرة الأسرة الإنسانية الموحدة، هو ذوبان لمعنى القريب/ البعيد في مقابل الغير/ الأنا، فذاتي هي ذات الآخر عندما يكون الحوار ممكناً ومنتجاً داخل السلطتين الزمنية والروحية.

3- **الزمني والروحي**.

إنّ إبداء فلسفة الليونة كسلوك عمل في الحوار، بابٌ لخلق الاعتراف بثنائيات القريب والبعيد من خلال إعادة تفكير الزمني/ الروحي، فالانتقال في التحوُّل من القبول بالفردية إلى الجماعية والتعايش، هو محور لمعرفة عميقة وفهمٌ دقيق للآخر سواء كان متميزاً في عقيدته برفض المخالف له أو حتى الغير في معناه الشامل للأقل تميُّزاً، ليس بإستوعابه بل بالدخول معه في علاقة، في إيثاره كجليس، ويتواصل تفكير: « **الرغبة في حلّ الغيرية العربية الإسلامية وإعادة توحيد العالم** »[6] في محاولةٍ لمواجهة المشروع العدواني للزمني والروحي.

---

[5]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، **الحوار من أجل التعايش**، دار الشروق- القاهرة، ط1، 1998، ص 11.

[6]- هشام جعيط، **الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي**، دار الطليعة- بيروت، ط3، فبراير 2008، ص 36.

المجلد العاشر/ العدد الثاني / 01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

معلمٌ أخر، هو استمرار الغيرية من خلال تدخل:« **الشخصية الإيديولوجية- الثقافية تدخلاً نشيطاً في المقاومة ثم في الكفاح الوطني في تونس والجزائر** »[7] مثلا، برفض مسألة الغيرية بالدعوة إلى حلّها وتبني مسائل أخرى في الهوية وتقرير المصير، والدعوة إلى الإتحاد بين الزمني والروحي أي الإسلام كدّين والضمير كمؤسسة لمقاومة التدخل الخارجي، ويزداد الرفض للغيرية أثناء الرفض للهوية من الخارج.

على مرّ عقودٍ مضت كانت فلسفة الكليانية في بعدها الواحد هي أساس الحكم على الأشياء وعلى تفكيرها، وهذا البعد الشمولي لمعنى الغيرية في حكمها بالتسلط بقوة العقل وقدرته على حكم العالم وتفسيره وتغييره، بات الآن متهافت، إذ:« **فإنّ فكرة الكليانية تصبح عندئذٍ مفهوماً محدّداً لعلاقة السلطة بالفرد ويصبح النضال ضدها ممكناً وذلك بإقرار(...) فلسفة النقد التاريخي(...) وهي فلسفة النضال اليومي ضد كل وسائل القمع لإقرار حرية الفكر والتعبير والممارسة** »[8] بهدم فلسفة الغيرية وبناء فلسفة التنوُّع على أساس قبول الآخر في الأنا.

إنّ تفكيك الغيرية، هي قضية مفتوحة تخص الفلسفة عندما تعلنُ البحث عن أدوات أخرى لبناء فلسفة من نوع آخر، هو رفضُ العقل الموحّد، أي تعني التفكير بشكل مغايِر، بإدراج الفلسفة كتفكير وتفكيك لميادين حياتية راهينية لمجتمع الأزمة، كالبحث في الخطاب النسوي والتحرُّر عند المرأة، التسكُّع أو المتسكِّع (Le clochard) أي تفكيك الغيرية، هو:« **رفضٌ لخطاب فلسفي مُكرَّر** »[9]، بمعنى تفكيك الغيرية هو:« **طرح مشكلة ما نحن عليه بالذات** »[10] وليس تفكير ما يجعلنا نؤمن بما نفكر به، فنعتقد أنّ إرساء قواعد الحوار الإنساني بين مختلف الثقافات والملل، يجب أن ينطلق من تفكيك وفهم الفكر الأوروبي من الزاوية السياسية والدّينية، ومن زاوية فكر التاجر، زاوية المثقف الحرّ، وزاوية المستعمِر المُقيم..لأنّ الإسلام لم يعد يشكِّل: « **خصما لاهوتياً بل ديناً بسيطاً للرمي خارج التيار الروحي المركزي للإنسانية** »[11]، حيث الاحتكار الإيديولوجي، هو الّذي صار يؤسِّس للوعي الدّيني-الكنسي بالشعور بالتفوُّق، ومنذ الانفتاح العلماني في أوروبا، أخذ يُنظر إلى :« **الإسلام بعمق، وكجزء**

---

[7]- المرجع نفسه، ص 49.

[8]- الزاوي بغورة، **ميشل فوكو في الفكر العربي المعاصر**، دار الطليعة- بيروت، ط2، نوفمبر 2007، ص 91.

[9]- المرجع نفسه، ص 93.

[10]- المرجع،نفسه، ص 93.

للإستزادة أكثر .

أنظر: دريفوس. أ ورابينوف. ب، **ميشال فوكو، مسيرة فلسفية**، ترجمة: جورج أبي صالح ، بدون ط ، مركز الانماء القومي - لبنان، ص 204.

[11]- هشام جعيط، **أوروبا والإسلام: صدام الثقافة والحداثة**، دار الطليعة- بيروت، ط2، 2001، ص15.

المجلد العاشر/ العدد الثاني / 01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

متمِّم وهام من الحياة الإنسانية »[12] لأنّ المشكلة ابتدأت في تخطيط إيديولوجي كان الغرض منه، هو الولاء السياسي أكثر منه مواجهة بين الحضارات.

وعلى نحوٍ متعارض، تنظر أوروبا الإمبريالية باحتقار للّذين أخضعتهم، لهذا: « **أعتبرت فكرة الجامعة الإسلامية مؤامرة - ضدها-** »[13]، وهذا نتاج المركزية العرقية التي تغذت بها طوال امتداد العنصرية، أما والآن، فهي تُبدي موقفاً مرناً اتجاه شريكها الإسلام، لكن في الوقت نفسه يظلّ هذا الموقف يُبيّت موقف معادي يجب الحذر منه والتعامل معه بتعقل، ما يحملُ معه إيديولوجيا خطرة نابعة من عقدة التفوق الغربي.

4- **إيديولوجيا الفلسفة المركزية.**

لابدّ أن نعود إلى مفهوم المونادا لفهم أكثر كيف يُنظر إلى الإنسان في كليته لأنه متميّز، وغير قابل للانقسام كونه فريد في تفكيره في مركزيته في العالم في المعرفة، وثانياً في انقسامه إلى وحدات لأنه هو بحدّ ذاته مونادا متميزة لا تشبهه العناصر الأخرى في الطبيعة، فمفهوم " الأنا " الذي تحوّل في إنتاجاته، إبداعاته الثقافية من الأنا (Le moi) إلى الأنا المركزية "Ego" هو انعكاسٌ لطريقة تفكيره وطبيعته المطلقة في العالم، فتركيبته بالمقارنة مع الآخرين (Les autres) هو إقصاءٌ **للآخر** في ذاتيته بالمقابل في إطلاقية **الغير** وهو الأوروبي.

ترتبط الإيديولوجيا الغربية في تفكيرها لمعنى فرادة المونادا للرجل الغربي بالإنتاج في مقابل ربطها **الغير** بـ : **الغريب** أي ثنائية الغير/ الغريب هي متماسكة لأنّها لا تُشكّل المطلق ولا تُمثله بأي شكل من الأشكال، بل هو تعبيرٌ عن ذاته الغربية لقول إيمانويل هوست (Emmanuel Housset):« **إذن، الغريب مطلقاً – هو- ليس الأنا بل هو الغير- الأنا -** »[14] ربما يكون هذا الأنا غير المطلق كما نظرت إليه الإيديولوجيا

الغربية هو من إبداعاتها.

إذن، قد يكون الأصل والفرع هو نفسه، وبالتالي تتلاقى إمكانية وجود نقيض لمعنى المطلق أو نقيض للنسبي بمعنى يجب أن تعترف الإيديولوجيا الغربية بوجود أحد المصطلحين إما المطلق أو الذاتي.

عندما تبلغ هذه الإيديولوجيا مرحلة تقييم للأخر- الغير- بالنظر إليه على أنّه الغريب(L'étranger)، تصبح منتجةً للغرباء ومنتجةً لذواتهم التي تتحوّل إلى مونادا غير متميزة، إذاً، الإيديولوجيا الغربية هي الأصل في إبداع الغريب، لكن مع الوقت يتحوّل هذا الغريب إلى مونادا في انعكاساته في الإيديولوجيا الغربية، لكن دائماً يبقى مُراقباً لأنّه إبداعٌ أصيل من الدرجة الثانية للإنسان الغربي وقوة إيديولوجيته.

---

[12]- المرجع نفسه، ص 16.

[13]- المرجع السابق، ص 17.

[14]- Emmanuel Housset , **Husserl et l'énigme du monde** , 2ditions du seuil, Avril 2000, p. 225.

المجلد العاشر/ العدد الثاني / 01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

لا يتحوّل هذا **الغير** المنقسم إلى عناصر ولا يُشكّل بأي شكل من الأشكال معنى المطلق، بل هو مظهرٌ من مظاهر ذاته السيكولوجية داخل مجال إدراكه الخاص والمُحدّد من المطلق.

دائما تطرح الإيديولوجيا الغربية مزيداً من إنتاجات الإيديولوجيا حول كيفية تفكير معنى **الغير** في شكله **المتعالي**، فتجربته هي تحديد عالم خاص **للغير** حيث الدراسة الفينومينولوجية **للغير** كظاهرة هي في قصديتها بإنتاج عناصر مطلقة حيث:« **الأنا الموناد لا تتعالى بنفسها إلاّ عن طريق – تدخل- تكوينات الغير** »[15]، وهذه نظرة إيديولوجية تزكيها ترسبات تاريخية تشكّلت مع مرور الوقت، وازدادت قوّةً مع إنتاجات حقول معرفية في مجالات الفلسفة والإنثروبولوجيا وتفرعات أخرى ترتبط بالتكوين الفلسفي وبإتيقا الاعتراف والتفاعل داخل المعيش المشترك.

5- **الغيرية وإيتيقا الاعتراف**.

مما لا شك فيه أن اقتحام هذه الإشكاليات يحيلنا إلى التعرض إلى الدراسات السابقة للأعمال الضخمة مثل كتاب -تاريخ الجنون – والذي يعد بمثابة إبراز كينونة وشخصية المجنون (الغير) غير المرغوب. وأنّ إثبات الحالة الغيرية للمجنون هو إثباتٌ للكينونة والثقافة التي يدين بها شخصيا (المجنون)، لو أنّ المجتمع كف عن النظر إلى المجنون برؤى مرضية لكان ضرب من الانطولوجيا ومن الإبداع الثقافي، فشخصية الغير يبررها الوجود بثقافة الغير.

يتساءل المثقف الغربي في نهاية القسم الثاني– المجنون والثقافة – عن الرفض المجتمعي والثقافي للمجنون، بل إن مثل هذا الرفض هو رفضٌ لبعض الثقافات والمجتمعات لمرض المجنون كمرض مختل، وبهذا يكون المجنون هو ما يوازي الوجود الأكمل (الوجود الثقافي والشخصي) والمارق للواقع المعاش فنظرة المجنون الثاقبة في شجبه لأكثر من إمكانية على كينونته، فبقاءه في ظل هذا المجتمع هو إثبات للغير ولفرض الوجود الشخصي، وانّ ما يؤخذ على الإيديولوجيا الغربية بالنسبة للفيلسوف ميشال فوكو (Michel Foucault): «**أنّ الدراسات التحليلية لمثل هذه الوضعية وتبريرها لا تعكس نفس المنحى في كتابيه - المرض العقلي والشخصي – والمرض العقلي والنفسي**»[16].

إنّ أشكال الحجز لكل أصناف المجتمع غير السوي كالجنون، والفقر والفجور، إلاّ دليلٌ على نفي الغيرية والذات في آن، بل الأدهى من ذلك هو قتل وإبادة للفكر ولكينونته بقتله للصمت الكامن في داخله كلغة ترتقي للتغيير وفرض الذات، فإثبات الذات وردِّ الاعتبار للغيرية يتغير بموجب تحديد الآليات لفعل الطبننة وتفسير هذه التجربة نمو الأمثل لفعل إنتاج الخطاب ولإبراز الحقيقة، ومن هنا «**أين يمكن للطب أن يأخذ المكان اللائق محل الشرطة، ليس للاقتراب من فعل الحقيقة، بقدر ما تكون متابعة في شروط أخرى لإعداده...**»[17].

---

15 - Ibid., p. 226.

16 - Deleuze , Gilles, **Critique, Michel Foucault, du monde entier**, éd ; Minuit, Paris, 1986, P.761.

17 - Foucault , Michel, **Maladie mentale et psychologie**, PUF, Paris, 1997, P. 53.

المجلد العاشر/ العدد الثاني / 01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يجوب تحليل موضوع الغيرية بربطة أكثر بالخبل(Alienation) وبالتحليل النفسي والعقلي، بل أنّ الفلسفة الغربية في تحريها لمسار المجنون، هي تعبيرٌ عن الفردية وعن اللاإستمرارية (La Discontinuité) كون أنّ المجنون كمرض عقلي كان يفسر انطلاقا بربطه بعلم الفيزيولوجيا، ومع بداية القرن التاسع عشر ثم إخضاع التفسيرات الجنونية لتبرير وتحليل لعلم النفس وهي ما تمثل قفزة نوعية في تاريخ الخطابات وإنتاجها والتي بموجبها:« **لأول مرة في العالم الغربي، يؤخذ المجنون كمشروع، بناء وإحالة إلى علم النفس، [...] بل أصبح المجنون مدرج في منظومة القيم والقمع العقلي**»[18].

إنّ إثبات القيمة الفردانية للمريض تتحدّد بشكل أو بآخر بالقلق الذي يعانيه الفرد (المريض) والذي أضحى يعين تطور علم النفس للاهتمام أكثر بحالة المريض (الغير)، وهو ما يشكل أحد الارتسامات الكبرى للوجود الفعلي والاجتماعي للفرد بل أنّ:« **تاريخ وطبيعة الإنسان لا تفهم إلاّ بالإحالة إلى القلق** »[19].

يتحدّد فعليا الآن فهم الوجود الأنطولوجي لكينونة الذات بتحديد المياكانزمات المعرفية التي يحدِّدُها الضجر (L'angoisse) وهو ما يعطي للذات بعدا اجتماعيا وسلطويا للاهتمام بالحاضر لمساندته على كبح جماع الأعراض المرضية والتخلص منها، ولا عجب أنّ مثل هذا الفعل من شأنه أن يثبت قوة الذات ثقافيا وخطابيا.

إنّ وعي المريض بحالته المرضية، هي بلا شك الدليل على إثبات ذاتوية الفرد بتجرئه من الإفصاح عن مدى الوعي الكامن اتجاه ما يعانيه من قلق ومن أمراض، وما أشكال الغيرة والهذيان (Délires) والهلوسة (Hallucination) إلاّ أشكال مرضية تكمن بعمق داخل الذات فإثبات غيرية الآخر من خلال التعرض إلى الوعي المطلق بهذه الأعراض المرضية لوجوده الحاضر، وبهذا تدل الصبغة الإكلنيكية والنفسية على كينونة الكائن البشري، إذ الوعي بالمرض هو إثباتٌ لواقع آخر غير الواقع الطبي الذي يتخذه الطبيب كطرف معارض أو « **بالأحرى فالطبيب بالنسبة له ليس سوى مضطهد** »[20].

إنّ إثبات الوعي المطلق للمرض على غرار الوجود الفعلي للذات يتجلى أكثر في فعل الاعتراف الذي يبق موجودا ضمنيا لتحسيس المريض بمرضه وبأشكال الهلوسة والهذيان، والتي تعد بطريقة ما أو بأخرى دليل على كينونته، حيث التخمين في المجنون من منحى علم النفس، يضفي على المرض السمة الحقيقية للإنسان، بل الأكثر من ذلك إنتاج الحقيقة يكون بالنظر إلى المجنون الذي صار الظاهرة

[18] - Ibid., P.86.

[19] - Deleuze , Gilles , **Critique, Michel Foucault**, P.766.

[20] - Foucault , Michel, **Maladie mentale et psychologie**, P. 59.

المجلد العاشر/ العدد الثاني / 01 ديسمبر 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

والواقعة لإنتاج الخطاب : « **أين يمكن للإنسان المعاصر البحث عن حقيقته الضائعة بين طيات علوم النفس** »[21] بوجود المجنون، هذا الأخير هو المحفز الذي بموجبه تتحدّد الحقيقة المتسترة خلف المرض، وكأن المجنون هو المؤشر على وجود علم النفس وهذا بدافع إثبات شخصية المريض وإصلاحها لتدمج أكثر في المجتمع كشخصية سوية ومعتدلة إن خضعت للمعايير الخطابية والنفسية.

خاتمة.

إنّ تطابق الداخل بالخارج والذي كان يشكل فيما مضى الثنية لتأسيس قيام الإنسان، أضحى اليوم بفعل الوسواس من العالم المجهول (الموت)، وبالمستقبل المهدَّد بالضعف والانحسار، أنّ عدم القبول بالغير على قواعد للتبادل، ومن سمات القبول بالتعايش مع الغير هو الرضي بالمعيش المشترك من داخل تفاعل الثقافات وهذا بإقرار من عدم وجود ثقافة غالبة وأخرى مغلوبة، وعلى هذا الأساس بالإمكان أن نعيش حوارا فيه تصالح الثقافات، لكن في الآن نفسه نخشى من الخطر المحدق بالثقافات من داخل الإيديولوجيا العنصرية المشَكَّلة بالعنصرية.

[21] - Ibid., P.88.